

رؤوس أقلام في السياسة الدولية

دشنت أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ في أمريكا ، مفتسرق طرق جديد في السياسة الدولية . لم تعد هذه السياسة ترسم ، بصورة عامة ، ذات الخطي والمسارات والمناهج التي كانت متبعة قبل تلك الأحداث ، والتي كانت تحكمها ، بهذا القدر أو ذاك ، العقلانية ومراعاة موازين القوى وأسس الشرعية الدولية والقانون الدولي .

ولايعير من هذا التقييم العام لاثـر تلك الاحداث ، نتائج ما يمكن أن يسفر عن التقصي المتواصل من باحثين كثر في تفاصيلها ،

خاصة تلك التفاصيل المرتبطة بهوية من يقف خلفها ومن هو المستفيد من نتائجها . فقد غدت تلك الأحداث ، غص النظر عن ذلك ، خاصة بعد أن رفدتها احداث مدريد ولندن ، واقعاً علي الأرض يؤثر بشكل مباشر في مسارات السياسة الدولية .

ولعل ما ضاعف من خطورة الآثار المترتبة عن تلك الاحداث ، الانهيار الذي سبقها في المعسكر الاشتراكي وما قاد له من أختلال خطير في موازين القوى العالمي ، وفي القطبية الثنائية للعالم . لقد أصبحت قوى الرأسمالية العالمية بعد ذلك الانهيار - مطلقه البيدين ولاتحد من طابعها العدوانى اعتبارات التنافس مع المعسكر الاشتراكي أو ما كان يعرف بالمباراة السلمية بين النظامين الاشتراكي والراسمالي . حقاً لقد وجدت الحركة لفرض النظام العالمي الجديد في عصر العولمة ، ظروفًا مساعدة وقوة دفع كبيرة في الانهيار الاشتراكي الكبير ، وفي أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ .

وفي عالم القطب الواحد أصبحت الحملة لمكافحة الإرهاب ، أو الحرب العالمية ضد الإرهاب ، تكاة وتبريراً لسياسات الغزو والعدوان والاحتلال ، وتنفيذ الوجه المتوحش لسياسات النظام العالمي الجديد والعولمة . ذلك الوجه الذي ينطلق بصورة موضوعية ، من اتجاه هيكلى في مسار اقتصاديات وأسواق العالم نحو التكامل تحت هيمنة الاحتكارات العالمية . فالمدخلات الخارجية للإنتاج عبر الاستغلال الاستعماري للمواد الخام والسيطرة على أسواق التصريف ، تشكل ضربة لازب للنظام الراسمالي ليعيد إنتاج ذاته ويتجاوز أزماته . وكان كارل ماركس قد تنبأ بمثل هذا التكامل العالمي غير المتكافئ ، وأشار الي أنه سيكون الة رافعة للتقدم الانساني والعدالة الاجتماعية تحت مظلة الاشتراكية .

فالأهداف الدفينة لحركة العولمة هي تحديد مناطق الهيمنة والنفوذ ، واكتساح كافة العوائق أمام حرية التجارة وتدفق الرساميل والاستثمارات من ناحية ، وانسياب مواد الطاقة والمعادن وغيرها من المدخلات من الناحية الاخرى .

ويشهد العالم اليوم تحرك البوراج والأساطيل الحربية عبر المحيطات لبطس الهيمنة الامبريالية علي العالم . إن الاليات التي تتوسل بها حركة العولمة للوصول الي أهدافها هي : برامج التثبيث والتكيف الهيكلى للبنك الدولي وصندوق النقد العالمي ، ومنظمة التجارة الدولية وحلف الاطلس .

الغزو الايدولوجي :

وفي الجبهة الايدولوجية تطرح ماكينة الدعاية العملاقة لحركة العولمة ، منظومة كاملة من الطروحات والمفاهيم لتمهيد الطريق وصولاً الي غاياتها .
■ فهي تطرح ان السياسات الكينزية التي فتحت الطريق لدولة الرفاه والاجور المرتفعة للعاملين والضمان الاجتماعي وزيادة الانفاق الحكومي علي الخدمات والاشغال العامة ، قادت لانخفاض أسعار الفائدة البنكية وبالتالي لانحجام الراسمالية عن الاستثمار . ويتسبب هذا في نشوء الأزمات الراسمالية مثل أزمة الانكماش والركود والتضخم في أن معاناة هذا التطور الهام في معارضة الحـرب والاحتلال الامريكي للعراق وسط قطاعات واسعة في المجتمع الامريكي بعيد للاذهان ذكرى حركة المقاومة داخل امريكا وعالمياً لحرب أمريكا في فيتنام نهاية عقد الستينات ومطلع السبعينات والتي اجبرت وزير الدفاع حينذاك، روبرت مكنامرا، على الاستقالة في ١٩٦٨م لا يقلل من حقيقة هذا الواقع الموضوعي تراجع وتردد النواب الديمقراطيين عن مطالبة الرئيس الامريكي بوضع جدول زمني لسحب القوات الامريكية من العراق واكمال الانسحاب بحلول موعد الانتخابات الرئاسية القادمة في نوفمبر ٢٠٠٨ ، الامر الذي يدلل على اللامبدينية وتضاول الفروق بين الحكومة والمعارضة، مما سبب احباطاً لبعض الناشطين في حركة مقاومة الحرب وقاد إلى استقالة سيندي شيهان إلى التي حولت حزنها على ابنها صريع حرب العراق إلى طاقة ايجابية لمعارضة الحـرب وتنظيم حملات

ومن هنا يرد علي رأس أهداف حركة العولمة تجاوز الكنزية ودولة الرفاة ، وضرب المكاسب التاريخية للعاملين ، وإدارة الظهر تماماً لكافة الاعداد الاجتماعية . وبحكم هذه الاهداف الرجعية وما يتفرع عنها ، تجد قوى الليبرالية الجديدة في البلدان الصناعية المتطورة ، سندا ودعمًا من قوى اليمين الديني .

■ وتبشر هذه الماكينة الدعائية ، لفرض نهج التبعية للنظام الرأسمالي العالمي ، بنهاية مفاهيم الوطن والوطنية والتراث الحضاري والثقافة الوطنية ، باثار عولمة الاقتصاد وانتشار الشركات الكونية العملاقة عابرة القارات والتي لاوطن ولاجنسية لها .

■ وتروج لنهاية الايدولوجيات والصراعات السياسية الاجتماعية إذ لم يعد هناك من صراع في نظرها ، بعد انهيار المعسكر الاشتراكي وانتصار الليبرالية الغربية ، سوى صراع الحضارات . وفي إطار هذا الصراع الحضاري المزعوم تحذر من التحالف الاسلامي / الكنفوشويس بوصفه أكبر مهدد للبرالية الغربية . ويجري حديث الافك والبهتان علناً عن الحرب الصليبية وعن مثلك الشسر (بوش) وعن تخلف الحضارة الاسلامية (بيرلسكوني) . كما يجري الطرح ، بما يتناقض مع جوهر الليبرالية ذاته ، لصراع الحضارات بدلاً لصوار الثقافات (هنتجتون) ، ولنهاية الايدولوجيات والصراعات السياسية الاجتماعية (فوكوياما) مع ذات السياق يتم تجاوز الدعوة للحوار بين الاديان وصولاً الي قواسم مشتركة من جوهرها ومقاصدها الكليه الداعية للتسامح وقبول الاخر والتحرر والسلام والخير والحق والعدل .

■ وتطوي هذه الماكينة الدعائية للامبريالية جميع الصفحات ، وتعلن أن الصنم الماركسي بالذات ، قد سقط بصوت أكثر دويًا في الانهيار الاشتراكي الكبير ، وأن المسمار الاخير قد تم دقه في تابوت البديل الماركسي للبريالية الغربية .

■ كما تبشر بزوال بروليتاريا كارل ماركس من مسرح الأحداث باثار الثورة العلمية التقنية . وهذا يعني زوال الدعاة الاجتماعية للاشتراكية . واسترسالاً عن ذلك ، تطرح أن ليس هناك من افق ،



ساركوزي

امام الفئات الوسطي الجديدة التي أفرزها الحراك الاجتماعي لتلك الثورة ، سوى الدعوة لراسمالية شعبية عن طريق التقاهم بين الطبقات في المجتمع الليبرالي !

وبين أركان حرب حركة العولمة ، المكون من البلدان الصناعية المتطورة ، تلعب أمريكا دور العراب والقائد الفعلي . ويتسعي أمريكا من خلال هذه الحركة لتوسيع الحيز الجغرافي لمفهوم أمنها القومي عبر التدخلات العسكرية والضربات الوقائية ، تحت مسمى الحرب العالمية ضد الإرهاب . ولتنفيذ هذه السياسة العدوانية ستجاوز الميزانية العسكرية للجيش الامريكي ٥٠٠ مليار دولار هذا العام . وتتمتع الولايات المتحدة بوجء عسكري في ١٤٠ دولة ، وتربطها بما مجموعه ٦٦ دولة للقوانين العسكري . ويتنشر ٤٠٠ الف من جنودها في ٨٠٠

قاعدة خارج الاراضي الامريكية .

هذا الي جانب ما تضطلع به أمريكا من دور في توسيع حلف الاطلس ، وتوسيع نطاق ميادين عمله لتشمل كافة مناطق العالم .

وتزامنت هذه السياسة مع استراتيجية منهجية لأمريكا لاضعاف هيئة الامم المتحدة ، وتطويرها لتتماشي مع الارادة الامريكية ، غصن النظر عن مستلزمات وقبوس القانون الدولي والمعاهدات ومواثيق الامم المتحدة التي تقوم عليها الشرعية الدولية .



اورتيقا

شبح الفشل يخيم علي سياسات العولمة : يؤثر مسار الاحداث في عالمنا المعاصر ، الي أن قوى النظام العالمي الجديد ليست مطلقة البيدين ، وأن رياح الحركة المناوئة لوجه المتوحش للعولمة تاتي بما لاتشتهي سفن هذا الوجه القبيح . والواقع إن

سياسات وتدابير هذا الوجه المتوحش تتعرض في أكثر من موقع للفشل والأخفاق والهزائم . وتواجه هذه السياسات مقاومة متصاعدة من قبل حركة الشعوب ومن قوى العاملين في البلدان الصناعية المتطورة نفسها . ولعل النماذج والامثلة التالية تقف داعمة ومؤكدة لما نقول :

الاحتجاج المتواصل بالأضرابات ، ومسيرات الفقر والبطالة والتهميش دفعاا عن المكاسب التاريخية لقوى العاملين في كبريات البلدان الراسمالية ومن بين هذه المكاسب : الانفاق الحكومي علي الخدمات والاشغال العامة ، والضمان الاجتماعي ، وكفالة حق العمل وحقوق المرأة والاقليات والعمالة المهاجرة . وكذلك نشاطات التضامن الواسعة مع حركة الشعوب في نضالها ضد الوجه المتوحش لحركة العولمة .

وتستند هذه الصراعات الاحتجاجية والتضامنية علي تحالفات اجتماعية عريضة من الطبقة العاملة والفئات الوسطي الجديدة ، أي من العاملين يدوياً وذهنياً .

والازمات النابعة من طبيعة النظام الراسمالي ذاته تتفاقم وتتجدد ، كالأزمة المركبة للركود والتضخم وأزمة انهيار أسعار العملة ، والأزمة السياسية الاجتماعية الناجمة من التفاوت الاجتماعي الحاد بالاثار تجاوز الكينزية وسيطرة الليبرالية الجديدة . كما ان نموذج نهج التبعية واستجلاب التكنولوجيا والديون بأرقام فلكية ، كما في حالة النمور الاسيوية ورسيفاتها في أماكن أخرى يتعرض للأزمات ولايقدم مثالا يحتذى به للاستقرار السياسي والاجتماعي . وفي ذات الاطار تنهض حركة الشعوب في افريقيا والعالم العربي في وجه الانظمة الاستبدادية التي تدور في فلك النظام العالمي الجديد .. وتترجع بمقدار ١٨٠ درجة عن كل مكاسب حركة التحرر الوطني ابان نهوضها .

توجيه لطمة بعد اخري ، عبر صناديق الاقتراع

، لارباب وأساطين الوجه المتوحش لحركة العولمة ، فقد ذهب إرنا وبيبرلسكوني وبلير . ووجه الشعب الامريكي لطمة ليوش في الانتخابات البرلمانية التشريعية الاخيرة حيث غدا الديمقراطيون يشكلون الاغلبية في مجلس النواب والشيوخ .

سحب عدد من البلدان قواته المشاركة في غزو العراق كما قلصت بلدان أخرى عدد قواتها . وهاهو بوش نفسه يعلن بداية الانسحاب التدريجي ، بلاعودة للقات الامريكية من العراق . وفي زيارة مفاجئة لبلدغاد ، أعلن قولدن بروان قبل ايام ، سحب الف من جنوده من العراق بنهاية هذا العام .

وفي افغانستان والعراق لم يقصد الغزو ، ولا السلطات التي قامت تحت مظلة الاحتلال ، الي ايقاف المقاومة والعنف وسيادة الاستقرار والديمقراطية . وابرز رموز تنظيم القاعدة لايزالون مطلقي السراح . وتنظيم القاعدة نفسه قامت له فروع جديدة في بلاد الرافدين وفي بلاد المغرب العربي الاسلامي وغيرها . وها هو حامد كرزاي يعلن للمرة الثانية استعداداه للتفاوض المباشر مع الملا عمر .

ويقف كل هذا دليلاً دافعاً علي أن لتفريغ وانتاج التطرف والارهاب أسباباً موضوعية ، يرد علي راسها تسلط الانظمة الاستبدادية وتفرطها في السيادة الوطنية ، والتفاوت الاجتماعي الحاد . ، وسياسة الكيل بمكاييلن في التعامل مع النزاعات الاقليمية والحملة العالمية لتصاعد في عدة جبهات ضد الوجه المتوحش لحركة العولمة :

مقاومة التدابير المكارثية في أمريكا وغيرها ، والتي أفضت لقيام أجهزة جديدة في الادارات الحكومية ، تتبع قوانينها الاعتقالات طويلة الاجل والتصنت علي المكالمات الهاتفية والحد من الحريات الشخصية .
■ الحملة لتصفية معتقل جوانتامو والسجون السرية في أنحاء مختلفة من اوربا الشرقية + الاستفادة من الشعارات التي توسلت بها الامبريالية لبطس هيمنتها علي العالم مثل حقوق الانسان ، وكشف وفضح سياسة الكيل بمكاييلن في النزاع العربي الاسرائيلي وغيره .
■ الاستفادة من التناقضات والصراعات بين الضواري الامبريالية في سعيها للهيمنة علي العالم



شافين

، بطرح مطلب التقيد بالشرعية الدولية ، واجراء تحسينات ديمقراطية في الامم المتحدة ومجلس الامن تغل يد أمريكا عن الأفراد باتخاذ القرار في أمهات قضايا السياسة الدولية .

وقد حدث هذه التناقضات والصراعات بالرئيس الامريكي بوش ، للحديث عن اوربا جديدة في متاهات شرق أوربا ، تدعم سياساته الانفرادية التي وجدت رفضاً ايجابياً لها من الرأي العام والكثير من الحكومات في بلدان غرب اوربا الصناعية المتطورة . وعلي المستوي العالمي تكون منبر واسع اجتماعياً وسياسياً وتفكيرياً لمكافحة الوجه المتوحش لحركة العولمة ، وتحاصر المظاهرات الجماهيرية الحاشدة التي ينظمها هذا المنبر اجتماعات أركان حرب حركة العولمة عبر كل البانها وترتفع المطالب عبره لحل

تصاعد الحركة المناهضة لحرب العراق وتساقط رموز المحافظين الجدد

السقوط المدوي لولفو ويتز والمطالبة بتعديل نظام تعيين رئيس البنك الدولي

نائب وزير الدفاع، منذ البداية، بعاصفة قوية من المعارضة من الدول الأوروبية، لسوره في التظنير والتدبير والتنفيذ لحرب واحتلال العراق، مما جعل وزير المال الألماني يعلق على تعيينه بقوله « ان القارة العجوز لا تعمرها الفرحة بهذا التعيين»، في تلميح ذكي لفكرة وولفويتز التي أذاعها بين الناس وزير الدفاع الأميركي السابق، المعروف بصلفه وفجاحته، أو أن التحضير للحرب وبناء التحالفات، عن التناقض بين أوروبا العجوز المناهضة لشن الحرب، وأوروبا الفتية التي هي طوع البنان ومضمنة الولاء وشريكة أمريكا في حربها على العراق. وحتى من داخل الولايات المتحدة ارتفعت الأصوات المعارضة لتعيين وولفويتز من عدد من المهتمين بقضايا التنمية والاقتصاديين مثل جيفري ساكس وجوزيف ستغليتز، الحائز على جائزة نوبل في الاقتصاد، بناءً على افتقار وولفويتز للمؤهلات المناسبة في مجال التنمية الاقتصادية وعمل البنك.

وجاء وولفوويتز إلى رئاسة البنك بوعود عراض لمحاربة الفساد، الذي صنوك بأنه المعوق الأساسي للتنمية، وانهاء تعامل البنك مع الدول التي تجرزه وتتساهل معه، وأعلن أن سياسة البنك ستتركز على معاقبة الأنظمة الديكتاتورية ومكافحة الدول التي تحرز تقدماً في اتجاه ترسيخ الديمقراطية . وانها لمفارقة ذات مغزى أن يقال وولفوويتز على خلفية ضلوعه بنفسه في ممراسات فساد من ذات عينة فساد حكام وطغاة دول العالم النامية الرازحة تحت نسر الديكتاتورية. وهذا وحده كفيـل بكشف زيف وعود المؤسسة الدولية



كافة المشاكل الاقتصادية والاجتماعية مثل الديون والايوثة والجفاف والتصحر وتفعيل دور الامم المتحدة واليات الشرعية الدولية ، وتحديد دقيق متفق عليه دولياً للإرهاب . ولهذا المنبر دوره الفاعل في أعمال التضامن العالمي مع الشعوب التي تتعرض للغزو والعدوان .

وباشر نشاط هذا المنبر صرح بابا الفاتيكان السابق يوحنا بولس الثاني ، بأن العولمة استعمار جديد مرفوض .

وهكذا يتضح لكل ذي بصر وبصيرة إن الصراع السياسي الاجتماعي علي كل المستويات ، محلياً واقليمياً وعالمياً وليس صراع الحضارات ، هو المتحرك لمجريات السياسة الدولية . ولعل مسار الاحداث مؤخرًا في بورما وباكستان ومصر وغيرها يغتنا عن الاسترسال في هذا الجانب . ويبقي الزعم بنهاية الايدولوجيات هو باطل الابطايل اذا انه هو نفسه يستبطن دعوة ايدولوجية ثبرر لسياسات الوجه المتوحش لحركة العولمة ، بما في ذلك سياسة التعامل مع حركات التحرر والمقاومة الشعبية كحركات ارهابية .

نقاط ضعف في الحركة المناوئه للعولمة :

غير ان النقاط التي سقناها في صلحة حركة الشعوب في مواجهة الوجه المتوحش لحركة العولمة وهيمنة الاحتكارات العالمية . يجب ان لا تحجب عنا نقاط الضعف ، والتي لايد من دراستها ومعالجتها .

ويقف علي رأس نقاط الضعف هذه :

■ الانقسام السني والشيعي الذي يضعف حركة الجماهير في البلدان العربية والاسلامية ضد الاحتكارات والاستعمار الاستيطاني الصهيوني .
■ بقاء الانظمة الاستبدادية التي ترسخ لنهج التبعية واملاء النظام العالمي الجديد وحركة العولمة .
■ ضعف دور المنظمات الاقليمية وحركة عدم الانحياز في رفع استعداد الشعوب في العالم الثالث لمواجهة الوجه المتوحش لحركة العولمة ، وخاصة بالنسبة لتفعيل أعمال التضامن في مقاومة الانظمة الاستبدادية ونهج التبعية ، وفي التصدي للمشاكل التي تضعض من قدرات الشعوب في هذا المضمار لمشاكل الفقر والنزاعات علي أسس عرقية ودينية وغيرها .

وفي هذا المضمار نشير الي أن المشروع الامريكي للاصلاح الديمقراطي في بلدان الشرق الاوسط، يظل فوقيًا وخارجياً وضعيف المرذود، دون قيام تحالفات شعبية عريضة من كل القوى الراضة للاستبداد والتبعية ، والعاملة من اجل التحول الديمقراطي . كذلك من نافلة القول إن مقترح النيباد (الشراكة من اجل التنمية في افريقيا) حول تكوين الية للمراقبة والمحاسبة الذاتية للبلدان الافريقية ، لايستقيم ولن يكون له مردود ايجابي دون انجاز التحول الديمقراطي وإرساء اليات فعالة للتنمية المتوازنة ورتق النسيج الاجتماعي ومحاربة الفساد.

ولعل ما يدعمر حرحنا هذا ، هو ان عدداً متزايداً من بلدان امريكا اللاتينية ، بدأ السير علي طريق التطور المستقل ، ودعم القطاع العام كقاعدة لهذا التطور بهذه الدرجة او تلك من الراديكالية ، ويسند جماهيري واسع وفعال وتضامن عالمي . وتصدد هذه البلدان في وجه عقوبات أمريكا مثل عقوبة حظر الاسلحة والتوقف عن شراء النفط وغير ذلك .

حقاً لقد جرفت حركة شعوب أمريكا اللاتينية في تيارها الكاسح ، مبدأ مونرو الذي جعل من بلدان تلك القارة مناطق نفوذ تابعة للولايات المتحدة ، تتعامل معها كحناط خلفية للبيت الامريكي ، وفي أسخن الحالات كمجرد جمهوريات لموز ، وكان وزير الخارجية الامريكية الاسبق ، هنري كيسنجر، قد صرح بلسان المنهجية الاستعمارية لأمريكا، علي أيام الرئيس الاشتراكي لجمهورية شيلي الشهيد سلفاتور اللندي .،(لا اري لماذا علينا ان نترك بلداً يتجه الي الماركسية فقط لان شعبه غير مسؤول! .

البراقة التي ظاهرها الحذب على التنمية ومحاربة الفقر، ولا تعدو في حقيقتها أن تكون تكريس ذات النهج القديم الذي طبع سياسات صندوق النقد البنك الدوليين القاضية باخضاع الدول النامية لمصالح الدول الغنية واليات النظام الرأسمالي العالمي .
أمر آخر هام ارتبط بارغام وولفويتز على الاستقالة من رئاسة البنك وهو مطالبة بعض الدول وعلى رأسها جنوب افريقيا والبرازيل بفتح عملية اختيار رئيس البنك وعدم قصرها على الولايات المتحدة حسب النظام المتبع منذ انشاء البنك في ١٩٤٤، فحسب القاعدة غير المكتوبة في نظام برأيتون وودن، تختار الولايات المتحدة رئيس البنك الدولي، في حين تحتفظ الدول الأوروبية بالحق في تعيين رئيس صندوق النقد الدولي. في ذات الان، تطالب العديد من المنظمات غير الحكومية بانهاء هذه القاعدة، والتعيين على أساس الكفاءة وليس الجنسية أو النوع، وبضمان الشفافية. من الجانب الآخر تعارض فرنسا إدخال أية تعديلات على القواعد المتبعة في التعيين، والتي يمكن أن تؤدي إلى فقدانها هي وبقية الدول الأوروبية الامتياز والحق في اختيار رئيس صندوق النقد الدولي. وهذه الحقيقة توضع حدود معارضة بعض الدول الأوروبية لهيمنة الولايات المتحدة، وتشابك المصالح المشتركة لرأس المال المالي على نطاق العالم، وتقاسم النفوذ بين الدول الغنية التي تلتقي عند هدف أوحد هو استغلال واستنزاف ونهب موارد الدول الفقيرة باعمال اليات التبادل غير المتكافئ، وأغراقها بالقرض وإعاقة التنمية الحقيقية.